المشهد

العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

قالت العرب

أنت يا من قلت "لا" للموت والتيه / وللوجه الذي عشرين عاماً ظلّ مسروق الهويّه / أنت يا شمس القضية / نم هنا في الوطن الحافي فانت الآن فيه / يا بعيداً وقريباً / يا فلسطيني أنت! / أيها الرافض للموت هزمت الموت حين اليوم متّ.

السودان.. أكبر أزمة نزوح وأسرعها فى العالم

نزوح حدودي

لا تتوقف حركة العربات المتهالكة وسط الشمس الحارقة فى الصحراء، أو برد قارس فى مستنقعات مياه، وأصوات السياط، وتنقلب تلك العربات البائسة فى بعض الأحيان تحت وطأة حمولة مفرطة، تاركة الخيول الهزيلة مقلوبة على ظهرها، التى تنقل المئات يوميا من السودانيين إلى أى منطقة امنة، بعيدا عن القتل أو الاغتصاب والاعتداء، ليتحولوا إلى نموذج حى للمثل العربي" كمن يستغيث من الرمضاء بالنار"!

منذ اندلاع الحرب الأهلية الدائرة منذ أبريل ٢٠٢٣ بين الجيش السودانى وقوات الدعم السريع، سقط عشرات الآلاف قتلى، ونزح أكثر من ١٤ مليون شخص، فى واحدة من أكبر حركات النزوح فى التاريخ الحديث، تمثل السودان الجزء الأكبر من حركة النزوح التى تنحصر فى خمس دول فقط هي: أفغانستان، وسوريا، والسودان، وأوكرانيا، وفنزويلا، وللأسف يقيم غالبية اللاجئين – ٧١٪ – فى دول منخفضة ومتوسطة الدخل. لدرجة دفعت المسؤولة الأممية سونج آه لى بالقول: "لا يحظى ما يحدث فى السودان بالاهتمام الدولى الكافي، وهدفى هو إيصال صوت الأشخاص الذين التقيتهم هنا للحصول على المزيد من المساعدة لهم"

شهادات أممية

وفقا للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون للاجئين، لجأ أكثر من ٩٠٠ ألف سودانى إلى تشاد منذ بداية النزاع، ويمثلون ثلث سكان المحافظات الشرقية فى تشاد.

فى مخيم تونجوري، حيث يتكدس أكثر من ١٣ ألف شخص وفقا للمنظمة الدولية للهجرة، يسود شعور بالتخلى فى كل شهادة من شهادات العائدين التشاديين.

واستنكر فولكر تورك مفوض الأمم المتحدة السامى لحقوق الإنسان "الزيادة الحادة" فى استخدام الطائرات المسيّرة فى الحرب فى السودان، والتى أودت هجماتها بحياة أكثر من ألف مدنى فى الأشهر الخمسة الأولى من ٢٠٢٦.

وباتت حرب الطائرات المسيّرة سمة بارزة بشكل متزايد فى الحرب السودانية التى اندلعت فى أبريل ٢٠٢٣ بين الجيش وقوات الدعم السريع.

وقال تورك أمام مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة فى جنيف: "فى السودان، اتسع نطاق الصراع المروع وتصاعدت وتيرته، وتميز ذلك بزيادة حادة فى استخدام الطائرات المسيّرة فى الحرب".

وأشار إلى أنه "بين يناير ومايو ٢٠٢٦، وثّق مكتبنا مقتل أكثر من ألف مدنى جراء غارات الطائرات المسيّرة". كما أعرب عن أسفه لتفشى "الاغتصاب والعنف الجنسي"

وخلّفت الحرب التى دخلت عامها الرابع عشرات الآلاف من القتلى، وتشير بعض التقديرات إلى تجاوز الحصيلة ٢٠٠ ألف قتيل، وتشريد الملايين داخل البلاد وخارجها وانتشار المجاعة فى بعض المناطق بدارفور وكردفان.

الخريطة

تتوزع خريطة اللاجئين السودانيين حول العالم حالياً على دول الجوار والدول المضيفة (الأكثر استقبالاً)، حيث تحمل دول الجوار العبء الأكبر من هذه الأزمة الإنسانية لجنة الإنقاذ الدولية، وتتضمن أبرز الدول: مصر التى تستضيف أكبر عدد من اللاجئين، حيث تقدر أعداد السودانيين فيها بنحو ١,١ مليون لاجئ وطالب لجوء.

تشاد استقبلت مئات الآلاف (تتجاوز التقديرات ٦٠٠ ألف شخص)، خاصة من إقليم دارفور، وتتطلب الأوضاع هناك تدخلاً دولياً عاجلاً.

جنوب السودان : تستضيف ما يقارب ٦٧٥ ألف لاجئ سوداني.

وتتواجد أعداد كبيرة أيضاً فى كل من: إثيوبيا، أوغندا، جمهورية أفريقيا الوسطى، وليبيا.

فى مصر

فى الوقت الذى تشتد فيه الأزمة، ويتضاعف العبء على اللاجئين، تأتى أزمة تقليص الموارد والدعم لتفاقم هذه الأزمات، حيث أدّت تخفيضات المساعدات الأمريكية إلى تفاقم الأزمة، ما أجبر المنظمات على تقليص بعض الخدمات الأساسية المقدمة للاجئين، لا سيما فى جنوب السودان، ولا يزال غالبية النازحين السودانيين، أى أكثر من ٨,٨ مليون شخص، فى البلاد، حيث يكافحون من أجل الحصول على المياه النظيفة والغذاء والرعاية الصحية ومستلزمات البقاء الأساسية.

ويأخذ الوضع فى مصر منحى مختلفا، فالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تعينهم فى حياتهم الجديدة عبر عدد من الخدمات ومنها التسجيل وتحديد وضع اللاجئ، وذلك بتفويض من الحكومة المصرية، كما أفادت لأخبار الأمم المتحدة كريستين بشاى المتحدثة باسم المفوضية فى مصر، وقالت بشاي: إن المفوضية تقدم كذلك خدمات الحماية، والدعم الصحي، ودعم التعليم، ودعم الأطفال، والدعم النفسي، فضلا عن المساعدات النقدية للأسر الأكثر احتياجا. لكن هذا الدعم الذى يتلقاه اللاجئون وطالبو اللجوء يظل مهددا بسبب ما وصفته المتحدثة باسم المفوضية فى مصر بمشكلة قوية فيما يتعلق بنقص التمويل، ليس فقط بسبب التغيير الذى طرأ على ما يصل إلى الجهات الإنسانية والتنموية فى الفترة الأخيرة من تمويل، ولكن أيضا بسبب ارتفاع إجمالى عدد اللاجئين فى مصر من ٣٠٠ ألف قبل ثلاث سنوات إلى أكثر من ١,١ مليون لاجئ حتى نهاية أبريل ٢٠٢٦. وقالت المتحدثة باسم المفوضية فى مصر": انخفض النصيب المتاح للاجئ من التمويل من ١١ دولارا شهريا إلى ٤ دولارات فقط.

السودانيون في مصر

نقص التمويل وارتفاع عدد اللاجئين يهدد خدمات الصحة والتعليم

طرق الهجرة غير النظامية فى أعداد تشهد تضاعفاً للسودانيين العابرين

2.5 – مليون لاجئ سودانى حول العالم أغلبهم فى مصر

وكان مبلغ ١١ دولارا بالأساس لا يكفى لتغطية جميع احتياجات اللاجئين، ومن ثم، مع تضاعف أعداد اللاجئين ونقص التمويل، تقلص الدعم الذى نقدمه".

رعاية سويسرية

ونقص الدعم والتدفقات النقدية لرعاية اللاجئين أكدته تقارير أوربية عدة، حيث دفعت الحرب فى السودان ملايين البشر إلى النزوح، وفى الوقت ذاته، تقلّصت ميزانيات المساعدات التنموية فى جميع أنحاء العالم، لذلك تراهن سويسرا على نهج مباشر لمساندة تلك الفئة من النازحين والنازحات المساعدة لبعضها البعض.

وتؤكّد المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، عدم إمكانيةَ العودة الآمنة، والدائمة حاليًا، وفى نشرتها الصادرة فى شهر فبراير الماضي، تضيف: "لا يرجع الكثيرون أملاً فى إيجاد الأمان، بل بسبب قلة البدائل، وفى السودان، يجد هؤلاء بيوتًا مدمرة، وبنية تحتية منهارة، ومعونة شبه منعدمة"..وفى مصر، المتعافية ببطء من أزمتها الاقتصادية، لا يستطيع اللاجئون من السودان الحصول على سكن آمن إلا نادرًا، وبالكاد يحصلون. على رعاية صحية أو تعليم.

جمعيات صغيرة

وشأنها شأن دول غربية كثيرة، قلّصت سويسرا المساعدات التنموية الحكومية فى السنوات الأخيرة، وفى ذات الوقت وجّهتها نحو قارة إفريقيا أكثر من غيرها، وفى إطار التعاون الدولي، أقرّ البرلمان السويسرى منح مزيد من الأموال للسودان وجاراتها، من الدول المستقبِلة لأربعة ملايين نازح ونازحة.

ويذهب جزء من هذه المساهمات السويسرية إلى المجموعات المحلية الصغيرة، التى يساعد فيها أشخاص من السودان بعضهم البعض داخل مصر، وتقول ميلانى جوجلمان، المتحدثة باسم وزارة الخارجية السويسرية: "يسير التعاون مع المنظمات المكوّنة من جماعات النازحين والنازحات، بصورة جيدة".

وأمّا نموذج هذا التعاون فبسيط، إذ ينبغى على الفئات المعنية مساندة بعضها البعض، وتحقيق التفاهم بينها قدر المستطاع، وتضيف المتحدثة: "من خلال التعاون الوثيق مع الشركاء المحليين، يمكن تغطية الاحتياجات الأساسية بصورة أكثر فعالية، وأكثر اقترابًا من الجماعات المستهدفة".

الدعم المباشر

وترى السلطات السويسرية أن هذا النموذج أثبت جدواه، فعلى سبيل المثال، تدعم الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون (Deza)، منذ عام ٢٠١٨، برنامجًا يساعد لاجئين يساعدون غيرهم فى المدن المصرية الكبرى.

وتقول جوجلمان: "تعمل هذه المجموعات بطريقة موفرة للنفقات، كما ترتبط ارتباطا وثيقًا بالفئات الأكثر عرضة للخطر، وهكذا يمكنها تلبية احتياجاتها على نحو مباشر"، وتؤكّد بقاءَ الميزانية السنوية دونَ تغيير يذكر بعدَ مرحلة التأسيس، ورغم ذلك، أمكن مد يد العون لمزيد من البشر كل عام.

لكن لم تُتجاوز أزمة النزوح بعد، إذ تعتقد وزارة الخارجية الفدرالية أنّ أعداد طالبى اللجوء، القادمة من مصر، ستزداد، ويهدف الدعم السويسرى للسودانيين فى مصر، إلى تعزيز جماعات اللاجئين، وإيصال المساعدة للناس هناك بصورة مباشرة قدر المستطاع. فتقول جوجلمان: "نسعى إلى توجيه مزيد الموارد إلى المنظمات المحلية، ولفت الانتباه نحوها أكثر". وبهذا، يمكن أن تصبح المساعدة أكثر فعالية، وحاليًا تدعم الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون ٣٧٨ مشروعًا ثنائيًا فى إفريقيا، منها ١٤ فى السودان، و٢٠ فى مصر.

إلى أوروبا

عدد كبير من اللاجئين السودانيين يطمح فى تغيير جذرى أكثر أمانا، فبحسب التقارير الأممية شهدت طرق الهجرة غير النظامية تضاعفاً ملحوظاً فى أعداد السودانيين العابرين، وتعتبر فرنسا واحدة من أبرز الوجهات الأوروبية لطلبات اللجوء، فى وقت تزداد فيه تحذيرات المنظمات الدولية والمحلية من تزايد المخاطر على طرق العبور، خاصة علىحدود البلقان.

تقرير – آمال رتيب:

جيل كامل من اللاجئين الشباب يواجه خطر الضياع

من جحيم البطالة والاتجار بالبشر إلى ضبابية العودة إلى السودان .. مجازفة بالحياة من أجل الحياة

الهروب من الوطن بحثًا عن الأمان والكرامة لم يكن يوماً قراراً سهلاً، خاصة حين يتطلب الأمر المجازفة بالحياة. وهناك فى تلك البلاد البعيدة، ربما تحقق الأمان فى النجاة بالحياة من لهيب الحرب، ولكن يبقى البحث عن فرصة عمل تضمن للشباب مستقبلهم، أو تكفى على الأقل لمعيشتهم، تحدياً مقلقاً يجدد الإحساس بفقدان الأمان. فما واجهه الآلاف من الشباب السودانيين فى دول اللجوء لم يكن إلا بطالة ممتدة ومعاناة مركّبة.

ليبيا.. جحيم العطالة والاتجار بالبشر

أحمد الصادق، شاب سوداني، يسترجع ذكريات رحلته المحفوفة بالمخاطر خلال هجرته (غير الشرعية) إلى ليبيا، وهى خطوة اقدم عليها بسبب ظروف الحرب المدمرة فى السودان وانعدام الآفاق أمام الشباب. يروى أحمد : "هدفى كان الهروب من الصراع وبناء حياة مستقرة أتمكن فيها من مواصلة تعليمي. لم تكن الرحلة كما صوّروها لنا. انطلقنا من الخرطوم وسط الرصاص ودوى القذائف حيث كانت المعارك على اشدها، برفقة عدد من الشباب، كانت الرحلة فى حد ذاتها محفوفة بالمخاطر مررت خلالها بأخطر الأماكن والمواقف التى رأيتها فى حياتى بين المتاجرين بالبشر وغيرهم".

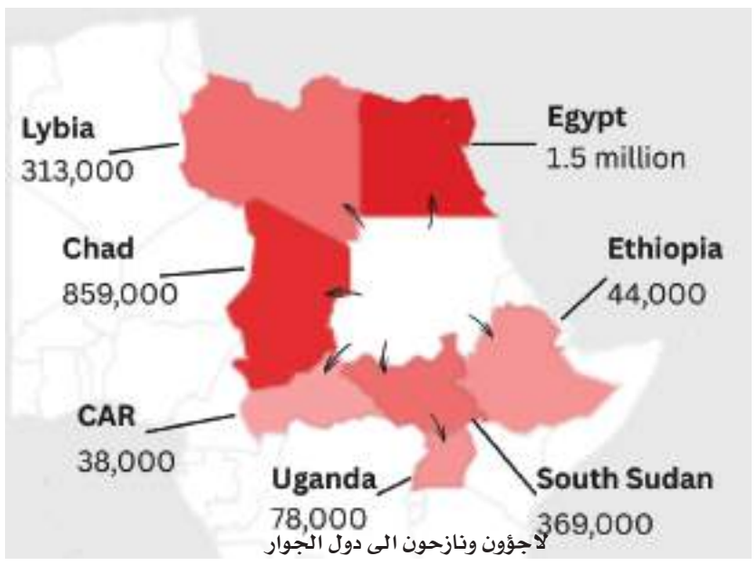

لاجؤون ونازحون الى دول الجوار

أخيراً

وصل أحمد ورفاقه إلى ليبيا، إلا أن معاناته لم تنته، حيث لاحقته البطالة، ويقول "فرص العمل تكاد تكون معدومة، إذ يوجد عدد كبير من المهاجرين من مختلف الجنسيات.. لذلك أصبحنا نحلم بالتوطين فى أوروبا أو فى أى دولة متقدمة توفر الحد الأدنى من الكرامة والحقوق". ليبدأ رحلة بحث جديدة عن مستقبل يحفه الغموض والمخاطر.

ورغم المخاطر، يتدفق آلاف الشباب والأسر السودانية إلى ليبيا عبر طرق التهريب بحثاً عن ملاذ، بعد أن ضاقت بهم أرض وطنهم. ليواجهوا واقعاً لا يقل قسوة، فرص العمل شبه معدومة، والمنافسة مع آلاف المهاجرين من دول أفريقية أخرى على أعمال هامشية وأجور متدنية. بينما يُستغل آخرون فى أنشطة غير قانونية أو يتعرضون للخطف والابتزاز.

بين كمبالا وكرياندنقو ملامح واحدة للبطالة

تشارك الطبيبة إيثار عمر قصتها مع شبكة "إعلاميات"، فتقول: "عندما هربنا من الحرب، مكثنا شهرًا فى العاصمة الأوغندية كمبالا، وكنت أظن أننى سأحصل على وظيفة فى مستشفى فكان الأمر مستحيلاً .. حاصرتنا تكاليف المعيشة وإيجار السكن الباهظة، فقررنا الانتقال إلى معسكر كرياندنقو".

وفى المعسكر حاصرتها ايضا العطالة وصعوبة الحياة، حيث لا كهرباء ولا مياه فى الصنابير، فالمياه تنقل يدويًا وفى الغالب غير صالحة للشرب ، وفوق ذلك تقول : " يحاصرنا البعوض والثعابين وانتشار الأمراض.. ولا يوجد مستشفى، فقط عيادة صغيرة أنشئت سابقًا للاجئين من جنوب السودان، ولا تقدم سوى استشارات وفحوصات بسيطة .. ومع تدفق اللاجئين السودانيين، أصبح الحصول على الرعاية الطبية أمرًا بالغ الصعوبة، وقد ينتظر المريض يومًا كاملاً، ومع ذلك لا توجد فرص للعمل".

مصطفى على (إسم مستعار)، شاب لاجئ فى العاصمة الاوغندية كمبالا، يصف حالته قائلا "أصبح سداد إيجار السكن أمراً بالغ الصعوبة. تركت نيالا بعد الحرب متجهًا إلى كمبالا لبدء حياة جديدة، لكن الواقع كان قاسيًا. احتاج لوظيفة لاتمكن من دفع الإيجار فقط أو تكاليف الطعام والعلاج، لكن لا عمل والحياة باهظة التكاليف، أبسط الفحوصات الطبية يمكن أن تكلف نحو ٥٠ دولارًا. وبعد مرور أكثر من عامين على الحرب، لم أتمكن من تكلفة السكن أو إيجاد عمل، فلم أجد أمامى سوى العودة إلى السودان، رغم خطورة الوضع فى نيالا تحت القصف الجوى المستمر..".

العمل الحر ليس مخرجًا سهلاً

الطيب آدم (اسم مستعار) عبّر عن ندمه على تجربة اللجوء إلى أوغندا، ويقول "البطالة منتشرة بشكل مخيف.. تنفيذ أى مشروع يحتاج لرأس مال كبير، وحتى المقاهى والمطاعم لا تنجح لأن السكان المحليين لا يشترون من اللاجئين".

ويتابع: "الإحباط واليأس يملآن نفوس الشباب، وهم يرزحون تحت عبء إعالة أسرهم داخل السودان، فى ظل ارتفاع أسعار تكاليف السكن والاحتياجات الأساسية فى بلاد المهجر.. كثيرون عادوا إلى السودان رغم المخاطر، لأنهم لم يحتملوا الإذلال والحرمان ..".

مصر: مهن هامشية

فى مصر، اتجه معظم الشباب السودانى إلى سوق العمل فى حدود العمالة اليومية، عاملين فى المطاعم والمحال التجارية، وعمال فى المزارع وغير ذلك من مهن هامشية، فيما حُظر العمل على الخريجين من المهنيين بسبب تعقيدات الإقامة وتصاريح العمل، فاتجه الكثيرون منهم إلى اختلاق مهن جديدة، كصنع الأطعمة والخبز والحلويات. ومع ذلك شكل غلاء وارتفاع تكاليف المعيشة عبئاً يلتهم الأجور الزهيدة والدخول المتواضعة.

أزمة جيل يضيع

ورغم ما يبديه هؤلاء اللاجئون من قوة وصبر، إلا أنهم ما زالوا عالقين فى حلقة من المعاناة، بين حرب لا تنتهى فى الوطن، ومستقبل غامض فى دول اللجوء، والاضطرار للعودة بعد أن سدت الأبواب فى وجوههم. أعداد متزايدة تشهدها البلاد من العائدين من الأسر والشباب، رغم سوء الأوضاع فى الداخل، بسبب صعوبة الحياة وغياب الفرص. فى المقابل، يسعى البعض لإعادة التوطين فى دول أكثر استقرارًا، بحثًا عن مستقبل أفضل.

منذ اندلاع الحرب فى ١٥ أبريل ٢٠٢٣، نزح أكثر من ١٢ مليون سوداني، بينهم ٤ ملايين لاجئ إلى دول الجوار. وتستضيف مصر حوالى ١,٥ مليون لاجئ سوداني، جنوب السودان أكثر من ١,١ مليون، تشاد بين ٨٥٠ ألف . ١,٢ مليون، أوغندا نحو ٧٦ ألف، وليبيا تستقبل عشرات الآلاف.

وبلغ عدد اللاجئين السودانيين المسجلين فى أوغندا ٧٦,٠٤٩ شخصًا حتى أبريل ٢٠٢٥، منهم ٧٥،٨٥٧ حصلوا على حق اللجوء رسميًا، فيما لا تزال ١٩٢ حالة قيد الدراسة، بالإضافة إلى ٤،٧٦٩ فردًا من ذوى الاحتياجات الخاصة، بحسب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

وفى المقابل، عاد أكثر من ١,٣ مليون سودانى خلال ٢٠٢٥، من مصر و أوغندا وتشاد،. و ١٢٨،٨٢٥ عائدًا من جنوب السودان، و ٣٢٣ ألفاً و٣٨٦ عادوا من مصر منذ مطلع العام حتى ١٣ أغسطس ٢٠٢٥ وفقاً لبيانات رسمية.

فى ظل استمرار الحرب وغياب سياسات دعم الشباب فى المنافى أو داخل السودان، يواجه جيل كامل خطر الضياع بين عطالة قسرية فى اللجوء، وعودة محفوفة بالمخاطر تشوبها ضبابية المستقبل فى وطن يتآكله العنف.

ملاك جمال بلة – الخرطوم (شبكة إعلاميات)